في ١٣ نيسان ١٩٧٥ بدأت الحرب الاهلية المعلنة . في الطرف الوطني مطالب هجومية وخطوات عسكرية دفاعية . في الطرف الانعزالي ، مطالب دفاعية تتضمن هجوما تكتيكيا بالغ الدلالة (نقل مخيم تل الزعتر)وخطوات عسكرية هجومية محدودة. ان هذا الترجرج في الحسم عند الطرفين ، يأتي اساسا من عجز الطرف البرجوازي الماروني الغالب على فرض تكتيكه (سقوط الحكومة العسكرية بعد ٤٨ ساعة من تشكيلها) وعدم قدرة الطرف الوطني على تحديد اهداف تتجاوز المطالب الوطنية (الاسلامية) التي جرى فيما بعد الباسها ثياب العلمانية في البرنامج المرحلي الذي طرحته الاحزاب .

لقد بقيت المعركة في هذا الاطار المترجرج ، الى ان انتقل الطرف الانعزالي من الهجوم الوقائي الى الهجوم العام . فما هي الخلفيات والعناصر السياسية التي دفعت الى اخذ هذا القرار ؟

لقد اتت اتفاقية سيناء ، لتحمل اول انشقاق في الصف العربي داخل لبنان . واذا كان اثرها الظاهر على اطراف الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية غير واضح (جميع هذه الاطراف رفضت اتفاقية سيناء وادانتها) فانها تركت اثرا كبيرا على مجرى الصراع . لانها ، وبوصفها جزءا من شكل الهجمة الاميركية لاستعادة مواقعها المهتزة في حرب تشرين ، سمحت للقوى الانعزالية بمحاولة الانتقال الى الهجوم العام ، عبر احتلال ضبية وفرض حصار تمويني على تل الزعتر ، واحتلال المسلخ — الكرنتينا . ومحاولة دفع احتياطيها العسكري — الجيش — الى المعركة .

لكن هذا الهجوم العام اصطدم بثلاثة أمور :

١ — ان حجم التراجع في اتفاقية سيناء ، لا يسمح للقوى الانعزالية بالانتقال الى هجوم عام يصفي جميع مواقع الخط العربي في لبنان عبر تصفية الثورة الفلسطينية . فاتفاقية سيناء هي اتفاقية يغلب عليها الطابع التراجعي دون شك ، لكنها لا تستطيع انهاء الصراع الوطني بشكل كامل ، بل تقننه ضمن فهم البرجوازية المصرية لحدود هذا الصراع . وهي لا تسمح بالتقسيم الذي يربكها اكثر ، والذي بدا واضحا داخل مخطط القوى الانعزالية في « تحرير المناطق المسيحية » .

٢ — الصمود الشعبي العظيم الذي استطاعت القوى الوطنية الفلسطينية واللبنانية قيادته ، لافشال الهجوم الكتائبي — الانعزالي ، تمهيدا للانتقال الى الهجوم المضاد .

٣ — الموقف السوري ، الذي لا يوافق على تصفية الثورة . بل يضعها كأحد عوامل استراتيجيته لادارة الصراع مع العدو الصهيوني .

لقد بدأت سياسة التضامن العربي تتساقط على ارض الحرب الاهلية في لبنان . فالتراجع غير المتساوي الذي برز عبر اتفاقية سيناء ، يعني ان حرب تشرين او نتائجها لم تستطع المحافظة على اولوية التضامن . وابتدأت الارض اللبنانية تشهد تفسخ التضامن العربي وبروز سياسة المحاور العربية .

ان الانجاز الهام ، او الظاهرة الاكثر دلالة ، التي عبرت عنها هذه المرحلة ، هي الالتحام الكامل بين الثورة الفلسطينية والحركة الشعبية اللبنانية . فالمطالب الوطنية اصبحت شعار الحرب الاهلية ، والثورة اصبحت جزءا هاما من الخريطة اللبنانية ومن المعادلة الجديدة التي لم تكتب بعد . فالتحام الشارع الوطني بالثورة ، لا يعبر فقط